سلسلة كتب التمساح
للفتيان
الدكتور كارم غنيم
٨

الأفيال
بين الحقيقة والخيال

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ ش عباس العقاد - مدينة نصر
ت : ٢٧٥٢٩٨٤ - ٢٧٥٢٧٩٤

٥٩٩,٦ كارم غنيم.

ك ا أ ف الأفيـال بين الحقـيقـة والخيـال / كارم غنيم . ـ القـاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٦ .

٢٨ ص ؛ إيض ؛ ٢٤ سم . ـ [سلسلة التمساح]

يشتـمل على ثبت بالمصطلحـات الواردة بالكتاب إنجـليزى ـ عربى.

تدمك : x ـ ٠٨٣٤ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.

١ ـ الفيلة. أ ـ العنوان. ب ـ السلسلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾*.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، وآله وصحبه، ومن اهتدى بهداه. أما بعد. .

فإن الحكمة تقول: إن الأفكار الممتازة ليس لها عمر، وإنما لها مستقبل، ويقول الفيلسوف الصينى كيواه تزو (الذى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد): إذا وضعتم مشروعات سنوية فازرعوا القمح، وإذا كانت مشروعاتكم لعقد من الزمان فاغرسوا الأشجار، أما إذا كانت مشروعاتكم للحياة بكاملها فثقفوا ونشئوا الإنسان.

والثقافة العلمية ـ وهى فرع من الثقافة عامة ـ زادٌ لكل إنسان عاقل واع مدرك، إذ بدونها ـ أو بدون القدر الضرورى منها ـ يصبح الإنسان معزولا عن العالم من حوله، بل عن الكون الذى يحيط به بما يحتويه من جماد وحيوان، ونبات وإنسان.

وتأتى مجموعة السلاسل التى شَرُفتُ بتأليفها لدار الفكر العربى ـ التى أكن لها كل حبى وتقديرى ـ نتاجا من الكتب الثقافية العلمية والتى نعرض فيها للمادة العلمية بأسلوب عذب وعبارة سهلة مع الرجوع المتأنى للمراجع العلمية الحديثة، مستهدفين عموم القُرَّاء بالدرجة الأولى وكذلك المتخصصون، منها «سلسلة كتب التمساح» وتضم أكثر من عشرين عددا فى عالم الحيوان: من تماسيح وخفافيش وأسماك وإبل وخيول وحيتان وقروش وأسود ونمور وفهود وغزلان وقطط وثعابين وعقارب وعناكب وذئاب وثعالب وكلاب. . إلخ، وكلها نوع من الثقافة العلمية التى لم تعد الناشئة العربية فى غنى عنها، نقدمها لهم على أمل أن تكون لَبِنةً فى البناء الحضارى المنشود فى عالمنا العربى خاصة، والإسلامى عامة.

ولله الحمد أولا وآخرا، عليه توكلت، وإليه أنيب.

المؤلف

* سورة الأنعام، الآية ٣٨.

هناك بعض الدول تتخذ من الفيل شعارًا لها، منها الدانمارك وتايلاند والهند. كما أن هناك «**وسام الفيل**» تمنحه الدانمارك للزعماء الزائرين فى بعض المناسبات، وهو وسام داومت عليه الدانمارك منذ العصور الوسطى...

وإذا كنت لم ترَ الفيل فى حديقة الحيوان الموجودة فى دولتك، فإنك لاشك رأيته فى أحد البرامج الثقافية بالتلفزيون. حيوان ضخم له خرطوم طويل، وأرجل مثل جذوع الأشجار... هو أضخم الحيوانات الموجودة حاليًا والتى تعيش فوق سطح الأرض، وإن كان الحوت الأزرق أضخم منه، لكن الحوت يعيش فوق سطح الماء.. وإن كان وزن الفيل (٧,٥) طن، فإن وزن الحوت الأزرق هو (١٥٠) طنا...

أين يوجد الفيل فى مناطق العالم؟ وما هى أنواع الأفيال؟ وهل هو حيوان ذكى؟ وما حكاية الخرطوم؟ وماذا عن حواسه وقوة ذاكرته؟ وهل هو حيوان رشيق؟ وماذا عن الأضرار أو المنافع العائدة منه على الإنسان؟...

أسئلة وأسئلة أخرى تقفز فى ذهن الشخص حين تبدأ الحديث معه عن الفيل، ذلك العملاق الوديع. وهذا ما سوف نعرضه فى لقائنا الحالى.

■ ذكاء الفيل ونباهته

الفيل حيوان ذكى، ولكن القرود أذكى منه، ومنها الشمبانزى، والأورانج أوتان، والغوريلا، وكذلك أذكى منه الكلب، وحيوان الراكون. ومع ذلك، فهناك من الأعمال التى يؤديها الفيل ما يدل على ذكائه وفطنته ونباهته... فالفيل سهل التدريب، وبالطبع أفيال السيرك التى نراها تطيع مدرّبها، وتنفذ تعليماته، توضح لنا كيف يمكن تدريب هذا الحيوان بسهولة على فعل أو عمل بعض الأشياء، مثل رفع الأثقال، تكسير الأشجار، الرقص، فرز أوراق واستخراج ورقة معينة رقمها يساوى عدد الدقّات التى سمعها...



الفيل الإفريقى حيوان ضخم طوله أكبر من طول الفيل الآسيوى (الهندى)، وكذلك وزنه أكبر، وأنيابه أطول مما هو موجود لدى الفيل الآسيوى... ويعيش الفيل الإفريقى فى الغابات والأراضى العشبية. والفيل حيوان آكل للأعشاب والنباتات...

ينظر الفيل إلى حارسه (أو مدرّبه) نظر الحب والود، وإذا كلّمه هذا الحارس نظر الفيل إليه بانتباه، وإذا فهم منه ما قاله أو أشار به، نظر إليه نظرةً تدل على أنه أدرك الكلام أو فهم الإشارة من الحارس... وكل هذا فى تأنٍّ وتؤدة. بلا طيش أو عجلة من أمره...

ويستطيع الفيل أن يميز بين أصوات الغضب وأصوات الرضا، وبناء على ذلك يؤدى العمل المطلوب أو يتركه... ويستطيع الفيل أن يتعلم الموسيقا، ويتدرّب بسهولة على التمييز بين الأنغام، وهو ينقل خطواته وفق لحن الطبلة...

ولكن، ماذا عن «قوة الذاكرة» لدى الفيل؟

هناك قصص كثيرة وحكايات غريبة عن قوة ذاكرة الفيل، يتناقلها الناس عن بعض المواطنين الهنود وغير الهنود، ونحن لن نكتب حكايات قديمة فى لقائنا الحالى، وإنما نختار بعض هذه القصص المثبتة فى كتب موثوق بأصحابها، وغير معروف عنهم المغالاة والشطط فى الحكايات والأقاصيص.

يحكى أن أحد الرسّامين أراد أن يرسم لوحة لفيل فى إحدى حدائق باريس، فكان يغرى هذا الفيل بتفاحة كان يضعها فى فمه لكى يفتح فمه ويرفع خرطومه إلى أعلى، وذات مرة خدعه الرسام، فذهب إليه وكأنه يقدم له التفاحة، ولكنه فى الحقيقة لم يقدم له شيئا، فاغتاظ الفيل. وبعد أن اقترب الرسام من إكمال الرسم، ملأ الفيل خرطومه ماءً، ثم أفرغه على المصوِّر (أىْ الرسّام) وعلى اللوحة. وهكذا شفى غليله من هذا الرسام الذى خدعه ذات مرة...

ويُحكى أن حارس أحد الأفيال كسر جوزة هند على رأس فيله، فاغتاظ هذا الفيل، وفى اليوم التالى ذهب هذا الحارس ومعه الفيل إلى السوق، فتناول الفيل جوزة هند من أمام أحد الباعة، وضرب بها حارسه، فقتله...!!

وإذا كان الفيل على هذه الدرجة من قوة الذاكرة و الانتقام لنفسه ممن



«باندى» فيلة مرحة مدربة تؤدى ألعابا فى السيرك، وهى سعيدة بالحذاء الذى أنتجته لها إحدى شركات الأحذية بالولايات المتحدة الأمريكية.

آذاه أو ضربه أو خدعه ذات مرة، **فهل هو كريم الأخلاق؟.**

نعم الفيل كريم الأخلاق ، وعن كرم أخلاقه حُكيت حكايات عديدة، نورد أهمها فيما يلى :

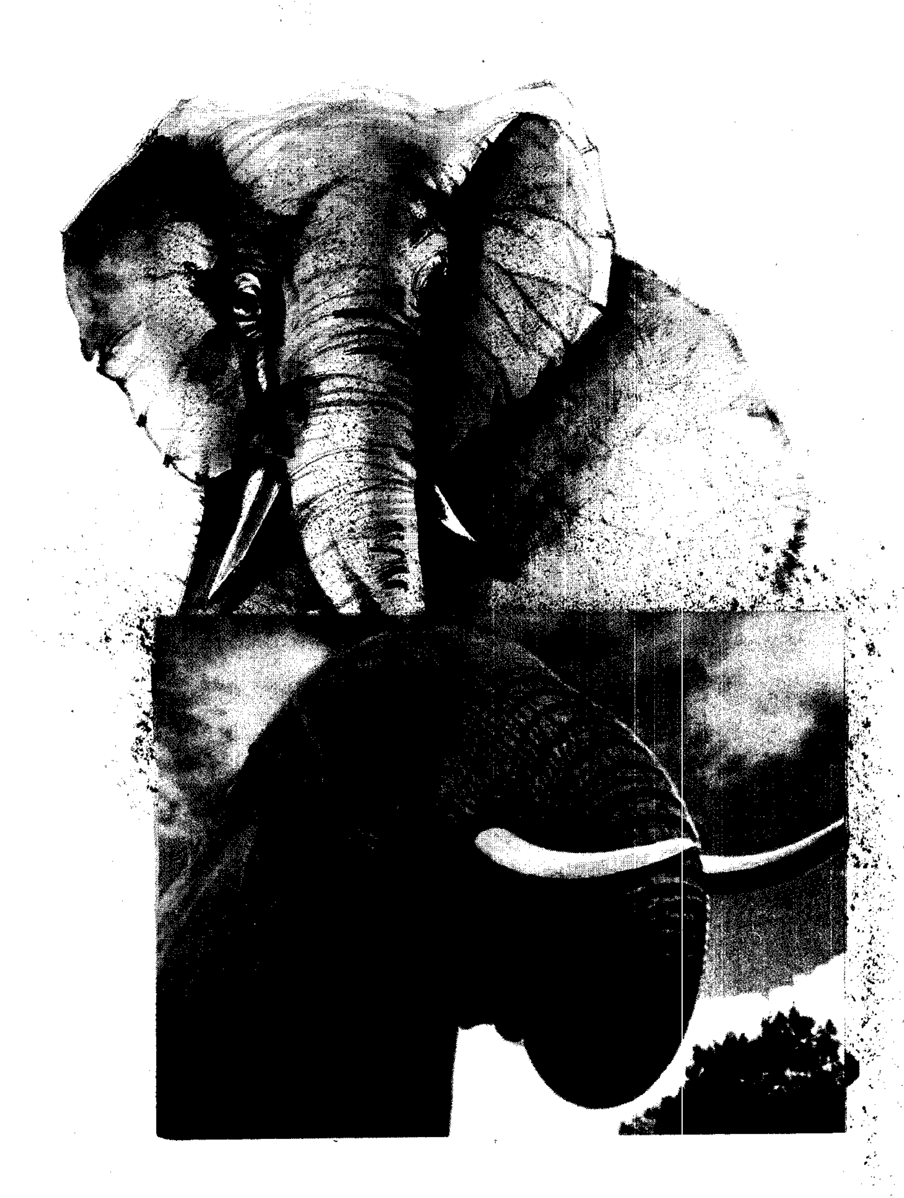
هناك رجل يسمى الميجور سميث، مشهور بتسجيل سلوك الأفيال وأعمالها وطبائعها، ذَكر أن فيلاً عُرض للمشاهدة أمام الناس فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان يصاحب كلباً ويحبه، فأخذ الناس يشدون أذن الكلب ـ وكان فى حظيرة صغيرة ملاصقة لحلبة العرض ـ فكان الكلب ينبح، فلما سمع الفيل نباح هذا الكلب اغتاظ، فكسر الحاجز الفاصل بينه وبين الحظيرة ونظر إلى الكلب والتفت إلى الناس مهدِّدًا إياهم ببعض الإشارات. . .

ويَحْكى شخص آخر مهتم بشئون الأفيال هو الدكتور فرنكلين أن النساء فى الهند يتركن الأفيال ترعى أولادهن عند خروجهن للعمل أو لشراء الحاجيات من السوق، وكلما عبث الطفل بأغصان شجرة أو انحشر بين أخشاب الغابة أثناء لعبه ولهوه، أخذ الفيل يرفعه وينقذه من المأزق الذى وقع فيه. . . !!

وإذا كان الصيادون يحفرون الحُفَر الواسعة ويغطُّونها بالأعشاب والأغصان، ثم يدفعون الفيلة فى اتجاهها لكى تقع فيها، وبالتالى يسهل ربطها بالحبال واقتيادها لبيعها أو لقتلها وأخذ الأنياب، أى من أجل الحصول على العاج. . . فإن مما يثير الدهشة أن الأفيال إذا رأت مثل هذه الأغصان والأعشاب، فإنها تنبش فيها وتطلع على أحوالها، وبالتالى ترى الحفرة، فلا تواصل السير فى اتجاهها. . .

■ تفاصيل جسم الفيل

هناك أنواع من الفيلة (أو الأفيال) اختفت منذ ملايين السنين، وهناك أنواع من الفيلة لا تزال موجودة حتى الآن، منها : الفيل الإفريقى، والفيل الآسيوى (ويسمى أحيانًا «الفيل الهندى»). والتفاصيل التى سنتكلم فيها الآن هى لأىٍّ من هذين النوعين، الأفريقى والآسيوى، وإن كانت بينهما اختلافات أو فروق سوف نوضحها. . .



خرطوم الفيل عضو هام جدًا، فهـو يعمل عمل اليد فى نقل الأشياء أو التقاطها، وبه يشرب الفيل، وبه يشُم أيضًا ويتذوق الأطعمة. . .



الجزء	الفيل الإفريقى	الفيل الهندى
الحجم	أصغر	أكبر
الوزن	٥ : ٧,٥ طن	٥ طن
الطول (الخرطوم)	٦ : ٧,٥ أمتار	٥,٥ : ٦,٥ أمتار
الأرجل	أطول	أقصر
الأنياب	كبيرة	صغيرة
طرف الخرطوم	عليه زائدتان	عليه زائدة واحدة
حجم الأذن	كبير، ٤ مرات قدر حجم أذن الفيل الهندى	
ارتفاع الكتفين	٣ : ٤ أمتار	٢,٥ : ٣ أمتار

الفيل حيوان ضخم الجسم - كما قلنا من قبل - ويقف على أرجله الأربع وكأنه يقف على جذوع الأشجار، وله خرطوم فى رأسه، وذيل فى نهاية أو مؤخرة جسمه... وأذناه كبيرتان، وعيناه صغيرتان. وفيما يلى بعض الفروق بين الفيل الإفريقى والفيل الهندى (الآسيوى).

■ الخرطوم (الزلّومة)

هو فى الحقيقة أنف الفيل، ويعمل عمل اليد، وبه يفعل الفيل أشياء كثيرة، لذلك فهو مدعم بعضلات قوية جدًا. وبالإضافة إلى وظيفته كأنف يشُمّ الفيل به الروائح، فإن الفيل يلتقط بخرطومه الثمار ويوصلها للفم، وينزح به الماء ويدخله فى الفم، ويمسح به عينيه، ويدافع به عن نفسه، ويقتلع به الأشجار، ويحمل به الأغصان، ويستنشق به الهواء، ويتحسس به الأشياء والأجسام الموجودة بالقرب منه...

■ أنياب الفيل :

أنياب الفيل هى سبب اصطياده، لأن هذه الأنياب مكونة من **العاج**،

الماموث فيل قديم

لا يوجد الآن فى العالم، له شعر على جسمه، وأنياب

كبيرة مقوسة وخرطوم ضخم. يبلغ حجم الماموث

ضعف حجم الفيل الموجود حاليا.

وعثر الناس على الماموث متجمدا فى ثلوج الصحراء الجليدية

(تندرا) فى سيبريا بقارة آسيا، ووجدوها محفوظة فى حالة جيدة

... أن لحمها كان صالحاً للأكل

وهذا العاج مادة جميلة، يستخدمها الأغنياء فى صنع الأثاث والتحف وما شابه ذلك. ومن أجل الحصول على كمية كبيرة من العاج (أى الأنياب) يقوم الصيادون باصطياد الأفيال أو قتلها، ثم يخلعون أنيابها ويبيعونها فى أسواق خاصة. ولعلك تسمع عن دولة تسمى «ساحل العاج» فى غرب إفريقيا، وقد كانت سوقًا عالمية لتجارة العاج، رغم أن هذا العاج كان يأتى به الصيادون أساسًا من شرق إفريقيا، ولكن المكسب (الذى يتراوح بين ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠٪) كان يهوّن عليهم مشقة السفر ومتاعبه...

فى بعض الأفيال يصل طول الناب ٣,٥ متر، وإن كان لا يتعدى بضعة سنتيمترات فى بعض سلالات الفيلة... والناب هو فى الأصل سن، وللفيل نابان يخرجان من الفك العلوى، وله أيضا قاطعان (يعنى سنّان) فى هذا الفك العلوى، وعدة أضراس ضخمة كالصفائح فى كل من الفك العلوى والفك السفلى... وهو يستطيع أن يستعمل بعض هذه الأضراس دون البعض الآخر... وبمرور عمر الفيل وكثرة استخدامه للناب، فإن الناب يَبلى، أىْ يتآكل أو يخسر. وكان الناب فى الزمن القديم يزن (٢٥ ـ ٥٠) كيلو جرام، لكنه فى السنوات الأخيرة لا يزيد على (١٢) كيلو جرام..!!

■ جلد الفيل

للفيل جلد ثخين، وحينما يكون الفيل صغير السن (طفل) فإن جلده يتغطى ببعض الشعر، ولكن بمرور نمو الفيل وتقدم عمره، يتساقط هذا الشعر، ويصبح الجلد عاريا.

■ قلب الفيل

قلب الفيل ضخم، وزنه (١٢) كيلوجرام، بينما وزن قلب الإنسان (٣٠٠) جرام فقط، يعنى أن قلب الفيل أثقل من قلب الإنسان بأربعين مرة..!! وبالطبع فإن قلب الفيل ضخم لكى يستطيع أن يدفع الدم فى أجزاء هذا الجسم العظيم... ليس هذا فقط، فشرايين الفيل



للفيل خـرطوم (زلومة) طويلة قوية، يسـتطيع بها أن يقتلع الأشجـار.. وعم
يل الآسيوى فى التحطيب ونقل الأخشاب إلى المراكب، عمل معروف هناك ف
ند.

واسعة، ويصل بعض الشرايين الذاهبة إلى الرأس في الضخامة إلى حد يشبه خرطوم المياه الذي نستخدمه في رش الشوارع. . .

■ حواس الفيل ورشاقته :

الفيل له أنف هو خرطومه الطويل، وتتفرع في هذا الخرطوم أعصاب كثيرة جداً، لذلك فإن الفيل حين يرفع خرطومه ويحركه في الهواء، يستقبل الروائح التي قد تأتي عبر الهواء من جهة من الجهات. ويستطيع الفيل أن يشم روائح النباتات التي يحب أن يأكلها، وهو يستطيع أن يميز بين العديد من الروائح، روائح أولاده وأفراد عائلته، وروائح الفيلة بصفة عامة، وروائح عديدة أخرى. . ويحب الفيل روائح الأزهار الطيبة، لذا فإنه يقطف الأزهار ويتلذذ بشمّها.

ليس هذا وحسب، فالفيل يسمع الأصوات الضعيفة، والأصوات القادمة من مسافات طويلة، والسمع وسيلة هامة لديه في الغابات والأحراش. . والأذنان كبيرتا الحجم في الفيل تعملان كالرادار، تلتقطان أضعف الأصوات، وتميِّز بينها بدقة. . . حتى أن الفيلة تسمع الزمجرات والهمهمات التي تصدرها فيلة أخرى على مسافات بعيدة منها في الغابة، وتميزها بدقة. . .

والإبصار هو الآخر قويٌّ لدى الأفيال، ولا تصدق أن عيون الفيل ضعيفة حين ترى حجمها الصغير، وإنما يرى الفيل كل شيء حوله وفي المنطقة المحيطة به، ولكن الشيء الذي يعجز عنه الفيل هو القدرة السريعة على التكيّف مع التغير السريع في شدة الضوء، أو الانتقال المفاجئ من النور إلى الظلام وبالعكس. . .

وأما عن **رشاقة الفيل**، فلا تظن أن ضخامة الفيل وثقل وزنه العظيم يعطلانه عن القيام ببعض الحركات الرشيقة، فهو يجري ويتسلق ويسبح ويحافظ على توازنه. أما **الجري** فهناك أفيال رآها بعض الناس تجري بسرعة (٣٠) كيلومتر في الساعة، ولكن



لفيل الآسيوى (الهندى) فيل هادئ
[illegible] والتدريب، [illegible] الإنسان
ه على مر العصور السابقة، سواء
ى حمل الأمتعة ونقلها أو المشاركة
ى قطع ونقل الأخشاب من
لغابات... ويسير الفيل فى المياه
ير العميقة، ويرش الماء أحيانًا
خرطومه، على سبيل اللهو والتمتع
الحياة، أو ترطيبًا لجسمه فى الجو الحار.

لمسافات قصيرة، وهذه السرعة تبلغها الأفيال الإفريقية إذا هاجمها إنسان أو عدوٌ يريد أن يوقع بها ضرراً. وأما فى الأحوال الطبيعية فالفيل يسير بسرعة (٤ - ٩) كيلومترات فى الساعة، وهى تقريبًا سرعة سير الإنسان العادى؛ وإن كانت الأفيال الآسيوية (الهندية) تسير بسرعة أكبر قليلاً (٧) كيلو مترات فى الساعة. ولا نكون مبالغين إذا ذكرنا أن فيلا كان يجرى بسرعة (٨٤) كيلومترًا فى الساعة. هكذا ورد فى بعض المشاهدات...

وأما **التسلق**، فإن الأفيال تستطيع أن تتسلق المرتفعات والجبال، والأفيال الآسيوية تخترق جبال الهيمالايا بسهولة...

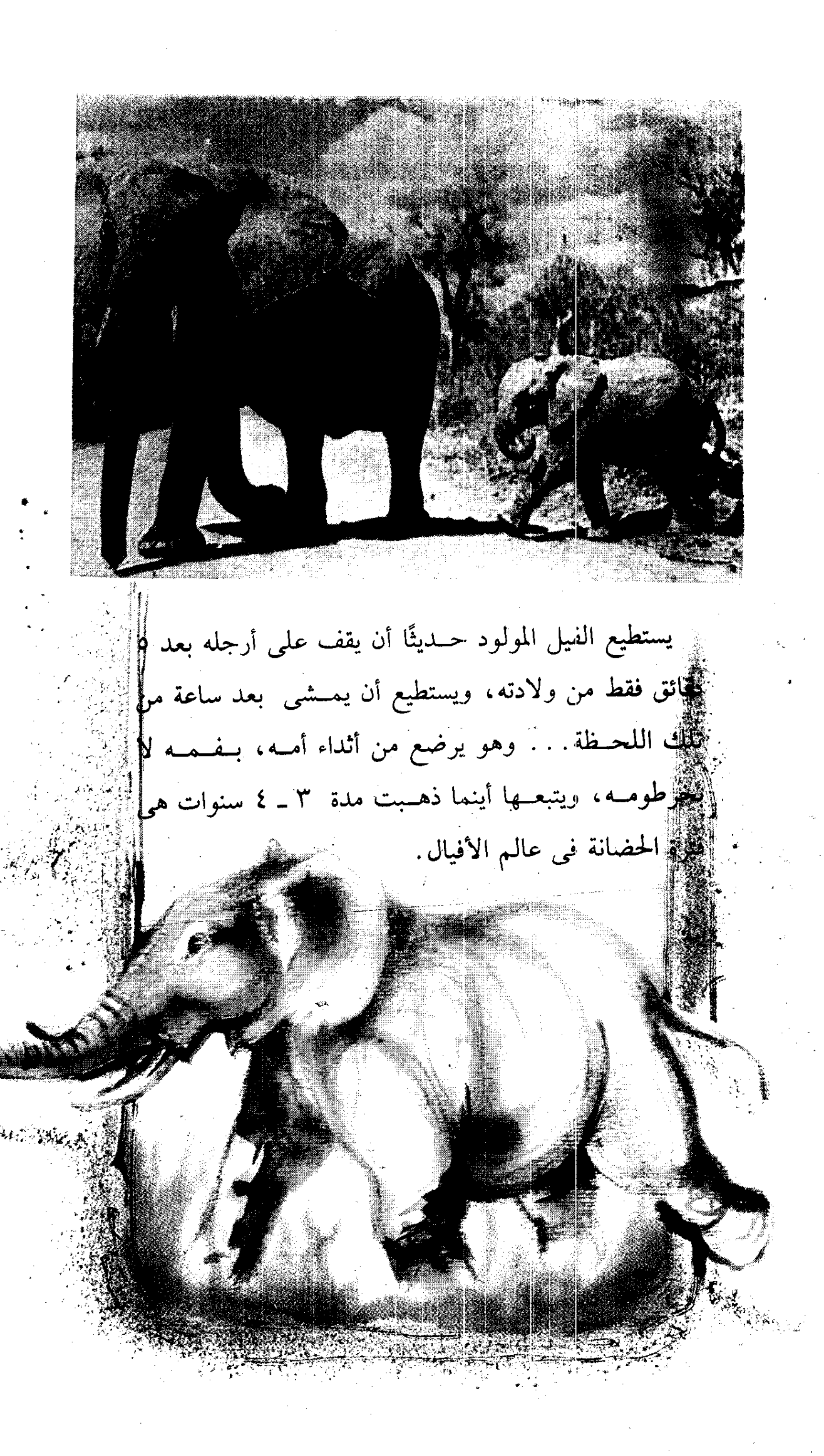
وأما **السباحة**، فإن الأفيال تستطيع أن تعبر بحيرة أو نهرا متسعا، وقد لا يظهر منها إلا قمة الخرطوم المرتفع إلى أعلى...

وأما **حفظ التوازن**، فإن الأفيال تستطيع أن ترتكز على قوائم حديدية فى السيرك، بقدم واحدة وبقية الجسم فى الهواء...!! ألا يدل كل هذا وذاك على أن الأفيال حيوانات رشيقة، رغم ضخامة أجسامها... فما بالك إذا كانت أجسامها خفيفة، فإنها فى تلك الحالة ستكون أكثر الحيوانات رشاقة فى العالم...!!

ولكن علينا أن نعلم بعجز الفيل عن القفز، وبعجزه عن عبور الخنادق الواسعة، فإذا علمت أن خطوة الفيل طولها (٦) أقدام (القدم مقياس مسافات)، فإنه سيكون عاجزًا عن عبور خندق عرضه (٧) أقدام... وإن كان الفيل يستطيع أن يهدم جدارًا إذا اعترض طريقه...

■ الأكل والشرب فى حياة الفيل

الفيل حيوان عاشب، يعنى **يأكل** الأعشاب والنباتات الأخرى كأغصان الأشجار، ومن أشهر النباتات التى يأكلها، نبات يسمى «علف الفيل»، والبوص والخيزران... بل يمكنه أن يأكل جذور الأشجار بعد أن يقتلعها من الأرض، ويمكنه أن يأكل الثمار بعد أن يهز الشجرة فتسقط ثمارها على سطح الأرض...



يستطيع الفيل المولود حـديثًا أن يقف على أرجله بعد دقائق فقط من ولادته، ويستطيع أن يمـشى بعد ساعة من تلك اللحـظة. . . وهو يرضع من أثداء أمـه، بـفـمـه لا بخرطومـه، ويتبعـها أينما ذهـبت مدة ٣ ـ ٤ سنوات هى فترة الحضانة فى عالم الأفيال.

والفيل يأكل كميات ضخمة من الطعام، وهو فى الحياة الطبيعية الحرة يأكل كميات أكثر مما يأكله فى حياة الأسْر (حياة السجن التى يعيشها فى حدائق الحيوان بالعالم) . . . وإن كان حارس الفيل فى حديقة الحيوان يقدم له (٤٠) كيلو جرام من الطعام (دريس وبعض البطاطس) كل يوم، فبالطبع يأكل الفيل أكثر من هذه الكمية إذا أطلقناه فى حياته الطبيعية بالغابات . . .

أما عن **الشرب**، فإن الفيل يشرب كميات ضخمة أيضًا من الماء، فإذا كان الفيل يشرب (٨٠) لتراً يوميًا، فإن هناك من الناس من حسب كمية الماء التى شربها فيل ذات مرة فوجدها (١٥٠) لتراً !! . . . . وبالطبع فإن الفيل يفقد كثيرًا من هذه الكمية فى صورة بول وعرق، وهو يتبول (١٤) مرة فى اليوم . . !!

■ هل ينام الفيل، وكيف ينام ؟؟

ينام الفيل (٤) ساعات تقريبًا كل يوم، وإذا كان الفيل يعيش فى تجمعات (قطعان) ، فإن النوم الذى . . ينامه أفراد القطيع شىء عجيب، فلا ينام كل أفراد القطيع مرة واحدة، ولكن بعض الأفيال ينام والبعض الآخر يظل يقظًا وكأنه يحرس الأفيال النائمة، وقد تأخذها إغفاءة أثناء الحراسة، لكنها تظل واقفة مستعدة للدفاع عن الزملاء النائمين . . . وبعد فترة نوم عميق، تصحو الأفيال، وتدع الفرصة لزملائها حتى ينعموا بفترة نوم هادئة، بينما هى تقوم على حراستها . . .

ومن المعروف أن أجسام الأفيال ضخمة، ولذلك فإذا نامت على الأرض، مثلما ينام الإنسان، فإن من الصعب عليها أن تهبَّ واقفة، أىْ إنها تجد صعوبة فى الوقوف إذا اضطجعت على الأرض . . ومن هنا فإنها تستند على ما تجده من دعامات خشبية كالأشجار أو حتى تَلٍّ أو مرتفع من المرتفعات . . .

ومن العجيب أن الأفيال التى تنام مضطجعة على الأرض ، تختار لنومها منحدرًا ، فإذا أرادت أن تقف بعد النوم، فإنها تتدحرج على هذا المنحدر، حتى إذا وصلت الى نهايته

كانت قادرة - بالطاقة المكتسبة - على الوقوف ورفع أجسامها الثقيلة الضخمة...

ويقول علماء دراسة سلوك الأفيال إن الأفيال إذا نامت نومًا عميقًا فإنها تحلم، وقد تكون الأحلام مزعجة، كأن تحلم بأسد يهاجمها مثلاً، لذلك فإنها تصدر صيحات وزمجرات فى أحلامها. ووجد حراس الأفيال أنهم إذا قيَّدوا أو ربطوا الأفيال بالسلاسل، فإن هذه الصيحات تقل، فاستنتجوا أن الأفيال حين تكون مربوطة تظن أنها فى أمان، لذا فهى تنام فى هدوء، وإذا حلمت كانت أحلامها هادئة...!! وهذه الأحلام المزعجة تسمى «كوابيس»، ولمنع أى كابوس، يضع أصحاب الأفيال فى غابات الهند سلاسل من القش على أرجلها، رحمة بها..

■ رعاية الأطفال فى مجتمع الأفيال :

بعدما يتم الزواج بين الفيل والفيلة، تحمل الفيلة جنينًا فى بطنها، ويظل هذا الجنين مدة تتراوح بين ٢١ شهرا وبين سنتين، حسب نوع الفيل. وبعد انتهاء مدة الحمل، تقوم الفيلة بولادة فيل صغير، وزنه (١٥٠ أو ٢٠٠) رطل (لاحظ أن وزن الفيل البالغ هو ٨٠٠٠ رطل). ومن المعروف أن مدة حمل الفيلة هى أطول مدة حمل فى جميع الحيوانات الثديية (وتسمى هذه الحيوانات أيضًا «اللبائن» أو «اللبونات» يعنى الحيوانات التى لها أثداء تدرُّ لبنًا ترضع منها أطفالها).

والفيلة جسمها ضخم، ومنطقة الحمل فى هذا الجسم كبيرة، لذلك فإن الفيلة عندما تكون حاملا، قد لا يظهر عليها ذلك (كما هو واضح فى السيدات من البشر مثلاً)، وقد تلد الفيلة دون أن يدرى أحد متى حملت أو هل هى حاملا، ولا يعلم بذلك جيدًا إلا الباحثون الخبراء بشئون الأفيال...

وأثناء الولادة، تقوم الفيَلة الزملاء بمساعدة الأم، وكأنها تقوم بعمل «طبيبة الولادة» أو «القابلة» أو «المولّدة»، فمنها مَنْ تخلص المولود

من الأغشية المحيطة به، ومنها من تساعده على النهوض.

ويستطيع الفيل الطفل أن يقف على أرجله بعد خمس دقائق، ويستطيع أن يمشى بعد ساعة تقريبًا... وهو يرضع من أثداء (ضروع) أمه عن طريق فمه لا بواسطة الخرطوم، ويظل يرضع لبن أمه مدة (٣ أو ٤ سنوات) يُفطم بعدها ويأكل ما تأكله الأم...

والفيلة الأم حنون، تهتم بطفلها كثيراً، وتغضب وتثور إذا رأت طفلها يتعرض لضرر إذا حاول أحد أن يخطفه منها... بل تقوم الفيلة الأم بتدليل طفلها ومسامحته فى أى أخطاء تقع منه، وتلبية طلباته دون أن تمل أو تغضب...

والفيل الطفل لا يبتعد عن أمه أكثر من بضعة أقدام، أثناء الأشهر القليلة الأولى من عمره، وهو يتسلى بوضع خرطومه على جسم أمه، وقد يلتقم حلمة أمه للتسلى وليس للرضاعة... وعندما يكبر الطفل، وترفض أمه أن تعطيه ضرعها، يغضب ويزمجر، مثلما يفعل طفل الإنسان إذا أرادت أمه أن تفطمه، وحاولت منعه من الرضاعة... فإذا رأت الأم حال طفلها، رقّ قلبها نحوه، وأعطته ضرعها بحنان ولبّت له رغبته...

ويظل الفيل الفتى يرضع من لبن أمه حتى إذا رُزقت الأم بمولود جديد، فإنه أيضًا ينافسه على الرضاعة، والحصول على لبن وحنان الأم. وإذا شعرت الأم بمقدم خطر نحوها، أخذت طفلها أسفل بطنها وإذا حدث ظهور خطر أثناء السير، فإن طفلها يجرى تحتها...

وإذا بلغ هذا الطفل الخامسة من عمره، سمحت الأم له بالتجول هنا وهناك، ولكن دون أن يغيب عن عينيها، وإذا بلغ الخامسة عشرة من عمره، أصبح فيلاً بالغًا، وأصبح عضواً فى عائلة الفيلة أومجموعتها...

والحنان والرقة وحب الأطفال، لا يظهر واضحًا على الأم فقط، بل يظهر واضحًا على الفيلة الإناث الأكبر



تقوم الأفيال برعاية صغارها، فتسير الأفيـال الصغيرة فيما بين الأفيال الكبيرة
ظهر أى خطر دخل الصغير تحت بطن أمه، والكل آخذ فى المسير.
ورعاية الأفيال لصغارها لها مظاهر أخرى غير هذا (انظر المحتوى).

سنًّا منه، فهنّ يراقبن الفيل الطفل، ويحافظن على حياته، ويكسرن الأعشاب والنباتات ويقدّمْنها إليه فى فترة التدريب على الغذاء النباتى المعتاد للأفيال (فى فترة ماقبل الفطام وما بعده بقليل)... هذه كلها معلومات سجلها العلماء بمراقبة الأفيال فى غابات إفريقيا وخاصة جنوبىّ كينيا...

■ الحياة العائلية و العلاقات الاجتماعية :

تعيش الأفيال فى قطعان (جمع قطيع)، يتراوح عدد الأفراد فى القطيع الواحد بين (٦ ، ٢٠) فيلاً. يسير القطيع تحت إشراف زعيم قوى قادر على الحيلة وحسن التصرف، وغالبًا ما يكون هذا الزعيم هو إحدى الأمهات. وأما الآباء (أو الذكور) فإنها تفضل المسير منفردة، وأحيانًا تنضم إلى القطيع.

وماذا يحدث إذا سمعت الأفيال إشارة خطر قادمة؟

تتلقى الفيلة الزعيمة صوتًا أو إشارة ما، وبسرعة توعز إلى بقية القطيع بما معناه أن خطرًا ما قادم نحوهم، وعليهم الحذر واتخاذ اللازم. حينئذ تبدأ الأفيال بالتجمع حول الأطفال الصغار، ويصنعون حولهم ما يشبه الحلقة المقفلة، وهذا وضع دفاعى لإنقاذ هذه الأطفال من بطش الأعداء كالأسود والنمور وحتى الإنسان...

وهناك حكايات كثيرة تحكى عن الحياة الاجتماعية والمعيشة التعاونية فيما بين أفراد قطيع الأفيال ، وسوف نورد بعض هذه القصص، وقد يكون بعضها حقيقيا، وقد يكون مختلطًا بالمبالغة، وإنما تدلُّ كلها على تعاون الأفيال مع بعضها البعض وقت الشدة ونزول البلاء والمِحَن...

يَرْوى أحد الصيادين فى غابات البنغال بالهند أنهم نجحوا فى اصطياد فيل صغير السن ، وفيلة أخرى بالغة (كبيرة). ثم تركوا الفيل الصغير دون قيد فى فناء ، بينما قيَّدوا الفيلة البالغة الكبيرة، وشدُّوها إلى عمود الحظيرة بهذا الفناء. وفى غضون ليلتين ، أخذ الفيل الصغير فى الهرج والمرج، واقتحم السور، وصحا أهل البيت



الفيل الأفريقي (لوكسودونتا أفريكانا)، وغيره من الحيوانات اللبونة (الثدييات) الشائعة في المناطق الرطبة، تهاجر موسميًا، فيما بين فصل الجفاف وفصل الأمطار (الرطوبة)؛ هربًا من الجفاف الذي يقتل مظاهر الحياة في تلك المناطق المنكوبة به...

فوجـدوا أن الفيلة البـالغة المقيـدة قد قطعت قـيـدها وجـرت إلـى غـابة مجاورة، ودهشوا عندما رأوا بجوارها فيلين كـبيـرين، واستنتـجوا أن هذين الفـيلين همـا اللذان قـضَمَـا وَقَطَعـا السلسلـة التى ربطوا بهـا الـفـيلة.. والأكثر دهشة أنهم رأوا الفـيل الصغير يجرى ويتبع هذه الأفـيال الثلاثة نحو الغابة المجاورة، وكأنّ لسان حاله يقول لهم، لقد حرَّرْنا أنفسنا من قيدكم أنتم بنى البشر..!!

ويقوم أفراد القطيع بتجميع الأفيال الصـغـيـرة (الأطفال والفـتـيـان) مع بعضهم البعض، ويجعلونهم فى مكان آمن حـوله أفـراد القطيع البـالغـين الكبار. وقد يجرى أحد الصغار هنا أو هناك، وقـد يشرد أحـد الصغـار إلى مكان أو جهة ما، أو يقع أحد الصغار فى شق أو ينحصر بين صخرتين... كل هذا وغيـره، تقوم الأفيال الكبـيرة بإنقاذه، والعـمل على سلامة الصـغار والأطفال...

ومما يُـرْوىَ أيضًـا عن السـلوك الاجـتمـاعى فى عـالم الأفيـال، أن القطيع إذا دخل فى مـعركـة مع عدو من الأعـداء، سـواءٌ كـان فـردًا أو جماعة، فـإن هناك قتلى وجرحى بين أفراد الأفيـال، فتأخذ الأفيـال السليمة بيد الفـيل الجريح، وتجعلـه يستند إلى زميلين (أو رفيقين) من رفقاء القطيع، حتى يصـلوا إلى مكان آمن يأخذ فـيه قـسطا مـن الراحـة، ويتـمـاثل للشفاء...

■ موجزما قيل عن علاقة الإنسان بالفيل :

ظهر الإنسـان على سطح الأرض، فوجـد الأفيـال وحيوانـات ونباتات، ووجـد البيـئة مـعدَّة لحـياته وجـاهزة لمعيشته. والأفـيال القديمة التى كانت موجودة منذ مـلايين السنين، تختلف بعض الشيء عن الأفيال الموجودة عند ظهـور الإنسـان، ولن نـدخل فى تفـصيـلات عن هذا الموضـوع، لأن المقـصود من هذه الجـزئية هو عـلاقة الإنسان بالفيل.

منـذ آلاف السنيـن، والإنسـان يستـعمل الفيل، فـالفيل والكلب من



تسير الأفيال فى قطعان ، يضم القطيع منها نحو ٢٠ فيلاً، ويقوده عادة فيلة أنثى هى أكبر أفراد القطيع سنًا. ويذكر أن الأفيال الذكور يجب أن تسير منفردة بعيدًا عن القطيع، وكذلك تفعل الأفيال المريضة والأفيال الطاعنة فى العمر . . .

أوائل الحيوانات التى استأنسها الإنسان. وقام الإنسان بتسخير الأفيال لحمل الأخشاب وخاصة فى الغابات، وبالأخص الأفيال الآسيوية، لأنها أسهل ترويضًا وأسهل طاعة، وأشد صبرا على العمل والخدمة... فتوظيف الأفيال فى أعمال نقل الخشب وتحميلها لقوارب فى الأنهار المجاورة للغابات، أمر معروف... والفيل الذى يقوم بهذه الوظيفة هو الفيل القوى، أما إذا بلغ الفيل عمرًا طويلاً، وتقدَّمَ به العمر أُحيل للمعاش، وقد يكون سن المعاش مثلما يحدث فى عالم الإنسان (٦٥ سنة)، وقد يكون أطول بعض الشىء...

والإنسان فى عصوره القديمة استخدم الأفيال فى الحروب، مثلما استخدم الخيول، وقصة أَبْرَهَةَ معروفةٌ، حين أغار على مكة المكرمة يريد هدم الكعبة، فهزمه الله بمعجزة الطير الأبابيل، وقصة القائد المغوار هانيبال معروفة، حين عبر من شمال إفريقيا إلى أوربا مغيرًا على تلك المناطق بعد أن اجتاز جبال البرانس وجبال الألب...

والإنسان منذ آلاف السنين يصطاد الأفيال من أجل الحصول على أنيابها العاجية، وتجارة العاج كانت رائجة ومربحة جداً فى إفريقيا والمناطق التى تنتشر فيها الأفيال، وكانت أسوان فى زمن الفراعنة سوقًا لذلك، مثلما كانت دولة ساحل العاج، وهى الدولة المعروفة بالساحل الغربى بإفريقيا...

وعلى العموم، فإن الأفيال اختفت من كثير من المناطق التى كانت تنتشر فيها، وقلّت أعداد الأفيال فى الغابات والأحراش بدول إفريقيا، وأصبحت الأفيال مهددة بالانقراض، والانقراض يعنى الاختفاء من منطقة معينة أو من كل أنحاء العالم... ولعل اكتشاف العاج الصناعى (السيراميك) بديل هام جداً يعوّض الإنسان عن عاج الفيل، ولذلك فإن الجهات والجمعيات التى تقوم بالمحافظة على البيئة تدعو الناس للإقبال على العاج الصناعى فى صنع الأدوات والديكورات وما نحوها، وينسون العاج الطبيعى (أنياب الفيلة)، ويَدَعُونَ الأفيال تعيش...

قائمة المصطلحات

Glossary

فيل أفريقى	African Elephant
فيل آسيوى	Asiatic Elephant
وسام الفيل	Elephant Logo
عصور أو قرون وسطى	Middle Ages
نَابٌ	Canine or Cuspid or Tusk
الغابات	Forests
الأراضى العشبية	Grass Land
آكل للأعشاب	Herbivore
آكل للنبات	Phytophage or Vegetarion
ذكى	Intelligent
قرد	Monkey
مدرّب الفيل	Elephant Trainer
الذاكرة	Memory
الهنود	Indians
قصة	Story
حكاية شعبية	Folk Tale
خرطوم أو زلومة	Proboscis
كريم الأخلاق	Gracious or Decent
إشارة	Signal
صيّاد	Hunter
حفرة	Dig
الحجم	Size
الوزن	Weigth
الطول	Length
يرحل	Leg
أذن	Ear
عين	Eye
ذيل	Tail
الكتف	Shoulder
عاج	Ivory
سِنّ	Tooth
قاطعة (من الأسنان)	Incisor
ضرس	Molar
الفك العلوى	Upper Jaw
الفك السفلى	Lower Jaw
جلد	Skin
قلب	Heart
رشيق	Graceful
حواس	Senses
شريان (شرايين)	Artery (Arteries)
أنف	Nose
أعصاب	Nerves
روائح	Odours
أزهار	Flowers
رادار	Radar
أصوات	sounds
الزمجرات	Raaring or Growling
الهمهمات	Humming
الإبصار	Vision

المنطقة المحيطة
Surroundings or Vicinity
التكيف
Orientation or Accomodatin
Light Intensty شدة الضوء
Balance توازن
Lake بحيرة
River نهر
Small Stream جدول (نهر صغير)
Jumping القفز
Trench خندق
عبْر الهواء (محمولة على الهواء)
Air - Borne
Elephant Fodder علف الفيل
Tree شجرة

Fruit ثمرة
Ditch Reed بوص
Bamboo خيزران
Hay دريس
Herd قطيع (جماعة من الأفيال)
Dreams أحلام
Deep Sleeping نوم عميق
Nightmare كابوس (حلم مزعج)
Embryo جنين
Gestation حمل
Breast or udder ثدى (ضرع)
Mammalia الحيوانات اللبونة (الثديية)
Baby or infant الفيل المولود
Midwife القابلة (المولِّدة)

٩٦ / ٤٢٩٦	رقم الإيداع
977 - 10 - 0834 - x	I. S. B. N الترقيم الدولى